

القيم الأسرية في السنة النبوية ودورها في استقرار الأسرة المسلمة

– قيمة المسؤولية أنموذجا –

بحث مقدم للندوة الدولية الثامنة "السنة النبوية وصياغة منظومة القيم الأسرية... مشاريع مبتكرة"

مركز الأمير عبد المحسن بن الجلوي للبحوث والدراسات الإسلامية المملكة العربية السعودية

المنعقد يومي 25-26/12/2020م

من إعداد: الدكتور سامي رياض بن شعلال

الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه

نائب مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي

قسنطينة – الجزائر

## مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: تعد السنة النبوية مصدرا مهما للتشريع، ومنبعا للمعرفة والحضارة، ولن يتم للمسلمين نهضة ولا رقي إلا بالتمسك بالقرآن والسنة عن علم ووعي وفهم، حتى يستطيعوا تجاوز العقبات والتحديات، واستلهام القيم والأفكار.

ولما كانت هذه الندوة العالمية المباركة ذات اهتمام بالقيم الأسرية في السنة النبوية، اتجه القصد للكتابة في بيان دور تلك القيم الواردة فيها من أجل الحفاظ على استقرار الأسرة المسلمة، باعتبارها المكوّن الأساس في المجتمع الإسلامي، وحماتها من التفكك والانهيار، ولما كان الشعور بالمسؤولية قيمة لها الأثر العظيم في دفع كل ضرر عن الأسرة، عازمت على إبراز هذه القيمة في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبيان دورها في تثبيت دعائم الاستقرار للأسرة المسلمة، بما يعود على المجتمع بالنفع والأثر الطيب.

وتزداد الحاجة إلى إبراز هذا الجانب بالنظر إلى أنّ الأسرة هي المحيط الأول الذي ينشأ فيه الفرد، وتتشكل فيه شخصيته، فكل خلل يحدث في محيط الأسرة ينعكس سلبا على أفرادها وعلى المجتمع بالضرورة.

ولهذا عنيت السنة النبوية الشريفة بالأسرة، ودعت إلى حمايتها وتحسينها، وإحاطتها بسياج منيع، فحدّدت مسؤولية القائمين عليها، وألزمتهم بواجبات تضمن تماسك الأسرة واستقرارها، نلاحظ ذلك في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع فمستول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، حديث رقم: [٢٥٥٤]، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، حديث رقم: [١٨٢٩]. وأريد أن أنبه إلى أن الإمام البخاري رحمه الله أخرج الحديث في مواضع من صحيحه غير كتاب العتق، منها في كتاب النكاح، باب: «فَوَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»،

فقد بيّن النبي ﷺ أنّ الوالدين مسؤولان عن الأسرة ومكوناتها، ولا شك أنّ تحملهما للمسؤولية يضمن دوام ترابط الأسرة ويعمقه، كما أنّ التفريط في ذلك كلّه يعرض الأسرة إلى التفكك، والمجتمع إلى التصدع.

### أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته من الدور الخطير والأساسي الذي تلعبه الأسرة من أجل بناء مجتمع متماسك، ولا يمكن للأسرة أن تقوم بهذا الدور على أكمل وجه وهي ضعيفة مفككة، ولهذا فإن أهمية الجزئية التي سأنتظر إليها في بحثي تكمن أيضا في الدور الوقائي للشعور بالمسؤولية بما يضمن الاستقرار للأسرة، ومن جانب آخر بيان دور السنة النبوية في تحقيق ذلك كله، ممّا يؤكد مشاركتها في بناء أسرة تسعى إلى غرس القيم في أفرادها.

### سبب اختيار موضوع البحث:

تنوعت الكتابة في البحوث والرسائل العلمية في مجال السنة النبوية وبالأخص في الحديث الموضوعي، حتى صار من النادر أن يجد الباحث موضوعا لم يُتطرق إليه، ولهذا فالأحرى التنقيب عن موضوع معاصر يعالج واقعا معينا، ولعل موضوع قيمة المسؤولية في السنة النبوية ودورها في استقرار الأسرة والحفاظ على تماسكها، من المواضيع التي يحتاج إلى مزيد عناية واهتمام، وبخاصة في هذا الزمن الذي نستشعر فيه الرياح العاتية التي تستهدف استقرار الأسرة المسلمة بالتحديد، لذا اخترت الكتابة في هذا الموضوع، مؤملا التوفيق والإعانة لإبراز هذه القيمة في السنة النبوية الشريفة، وبيان دورها في تثبيت دعائم الاستقرار للأسرة، بما يعود على المجتمع بالنفع والأثر الطيب.

### أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١/ التعرف على أهمية ممارسة المسؤولية الأسرية كما جاءت في السنة النبوية.

٢/ بيان عناية السنة النبوية بالقيم الأسرية.

٣/ التقدم بصيغة مقترحة لتطوير أداء القائمين على الأسر المسلمة في ممارسة مسؤولياتهم تجاه

أسرهم.

---

حديث رقم: [٥١٨٨]، ولا شك أنّ عنوان باب هذا الموضوع أقرب إلى موضوع البحث، حيث فيه إشارة إلى مسؤولية الزوجين على الأسرة والبيت عموما، إلا أنني عزوت الحديث إلى كتاب العتق لاتفاق الشيخين على اللفظ، والله أعلم.

٤ / استنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بالمسؤولية الواردة في نصوص السنة النبوية، والتأكيد على سبقها في هذا المجال.

### إشكالية البحث:

جاء هذا البحث لدراسة الإشكالية الآتية: هل ورد في السنة النبوية أحاديث حول قيمة المسؤولية؟ وفي حال تحقق ذلك ما هي السبل لتفعيل هذه القيمة من أجل ضمان استقرار الأسرة المسلمة المعاصرة، وجعلها لبنة في بناء المجتمع الإسلامي؟

### منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع المختار، والإلمام بكل جوانبه، ثم تحليل تلك المادة للوصول في نهاية البحث إلى نتائجه.

### خطة البحث:

تناولت الموضوع من خلال خطة قُسمت إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فأما المقدمة فأذكر فيها أهداف البحث، وأهميته، وإشكاليته، والمنهجية المتبعة، وأما المبحث الأول فقد خصصته للكلام حول القيم الأسرية وأهمية تعزيزها، وذلك في مطلبين، الأول: أعرف فيه القيم الأسرية من خلال تعريف القيم والأسرة، والثاني أبين فيه أهمية تعزيز القيم الأسرية. والمبحث الثاني: ضمنته لمطلبين، الأول أذكر فيه جملة من الأحاديث النبوية في قيمة المسؤولية الأسرية، والثاني خصصته للكلام عن كيفية تفعيل تلك القيم لضمان استقرار الأسرة المسلمة، ثم ختمت البحث بذكر نتائجه وجملة من التوصيات.

### المبحث الأول: القيم الأسرية وأهمية تعزيزها.

لما كان البحث يهدف إلى بيان عناية السنة النبوية بالقيم الأسرية، فقد خصصت هذا المبحث للكلام حول تلك القيم وأهمية تعزيزها، وذلك ضمن مطلبين:

### المطلب الأول: تعريف القيم الأسرية.

القيم جمع قيمة، مثل: سِدْرَة وَسِدْر، وفي لغة العرب القيمة هي: ثمن الشيء بالتقويم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء<sup>(٢)</sup>، والقيمة الثمن الذي يُقَاوَمُ به المتاع، أي: يُقُوْمُ مَقَامَهُ، وشيء قِيْمِي نسبة

---

(٢) ينظر: مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة جمهورية مصر العربية، (بلا ط) (ص/٥٧٨٣).

إلى القيمة<sup>(٣)</sup>، وقيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمة: ما له ثبات ودوام على الأمر<sup>(٤)</sup>.

وأما في الاصطلاح فسأعرف الجمع (القيم) دون الفرد (القيمة) سيرا مع صنيع الكتاب، وقد اختلفت التعريفات بحسب اختلاف الرؤية، فعرفها علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والفلاسفة، وعلماء الاقتصاد، وعلماء السياسة، وعلماء التربية<sup>(٥)</sup>، وهذا يدل على أهمية القيم وفعاليتها في البناء، وسأقتصر في بيان مفهومها على ذكر جملة من التعريفات من منظور الفكر الإسلامي، ومن ذلك الآتي:

١/ يقول علي خليل مصطفى: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"<sup>(٦)</sup>.

٢/ ويقول حامد عبد السلام زهران: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محمداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"<sup>(٧)</sup>.

٣/ ويقول محمد شاكر كناني: "هي المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة، التي يتمثلها المجتمع المسلم وبالتالي الفرد المسلم، التي يتحدد في ضوئها علاقته بربه واتجاهه نحو الآخرة، كما يتحدد موقعه من بيئته الاجتماعية"<sup>(٨)</sup>.

٤/ ويقول جابر قمحية: "هي مجموعة من الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"<sup>(٩)</sup>.

<sup>(٣)</sup> ينظر: أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، المطبعة الأميرة القاهرة، ط ٦ (١٩٢٥م)، ص/٧١٤.

<sup>(٤)</sup> ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط ٤ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص/٧٦٨.

<sup>(٥)</sup> ينظر: مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، (٧٧/١-٧٨).

<sup>(٦)</sup> علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، دار طيبة بيروت لبنان، ط ١ (١٩٨٠م)، ص/٣٤.

<sup>(٧)</sup> حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب القاهرة، (بلا ط) (١٩٧٤م)، ص/١٣٢.

<sup>(٨)</sup> محمد شاكر كناني، تصور جديد للقيم في المجتمع الإسلامي، نقلاً عن محمد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، (ديسمبر ٢٠١٢)، (٣٣٧/٩).

٥/ وقال مُجَدِّ أمين الحق: "هي المعايير الموجهة لحياة الفرد وسلوكه، فهي الأساس في الدافعية والسلوك، ففقدان القيم أو ضياعها أو عدم تعرفها يجعل الفرد يندمج في أعمال عشوائية، يسيطر عليه الإحباط التام لعدم إدراك جدوى ما يقوم به من أفعال"<sup>(١٠)</sup>.

وأما مفهوم الأسرة، ففي اللغة هي: عشيرة الرجل ورهطه الأذُنُونُ وأهل بيته، الذين يتقوى بهم"<sup>(١١)</sup>.

وفي الاصطلاح هي: "الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة"<sup>(١٢)</sup>، أو هي: نسق "من الأنساق المجتمعية ذات الأهمية والتأثير في التفاعلات المجتمعية، من خلال ما يربط بها من حقوق وواجبات بين عناصرها بعضهم ببعض، وبين الأسر على صعيد المجتمع، لكون الأسرة هي الوحدة الأولى الأساسية في المجتمع"<sup>(١٣)</sup>، و"الأسرة في الإسلام أوسع مدى من الأسرة في القوانين الأخرى؛ فإن الأسرة تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، ويدخل في هذا الأجداد والجدات، وتشمل أيضا فروع الأبوين، وهم الإخوة والأخوات والأولاد، وتشمل أيضا فروع الأجداد والجدات، فيشمل العم والعمة وفروعها، والخال والخالة وفروعها وهكذا الأسرة وتشمل الزوجين، وتشمل الأقارب جميعا سواء منهم الأذنون وغير الأذنين"<sup>(١٤)</sup>.

---

<sup>(٩)</sup> جابر قمحية، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ص/٤١.

<sup>(١٠)</sup> مُجَدِّ أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وأثرها على المجتمع، مجلة الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، (٣٣٧/٩).

<sup>(١١)</sup> ينظر: المبارك بن مُجَدِّ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الدمام المملكة العربية السعودية، ط ١ (جمادى الأولى ١٤٢١هـ)، ص/٣٨، ومُجَدِّ بن مكرم ابن منظور، لسان العرب: ص/٧٨.

<sup>(١٢)</sup> أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط ١ (١٩٨٢م) ص/٥٦.

<sup>(١٣)</sup> رائد جميل عكاشة ومنذر عرفات زيتون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، دار الفتح للنشر والتوزيع الأردن، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن، ط ١، ص/٢٦.

<sup>(١٤)</sup> مُجَدِّ أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي القاهرة، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)، ص/٦٢.

وبغض النظر عن عدد أفراد الأسرة، فسواء اشتملت على الزوجين والأولاد فقط - كما هو واقع كثير من الأسر - أم اشتملت على الأصول والفروع أيضا<sup>(١٥)</sup>، فإنّ المقصود بالأساس في هذا البحث من له القوامة على أفراد الأسرة، ولعل واقع الأسر نفسها هو من يحدد ذلك.

ويمكن في نهاية المطاف تعريف القيم الأسرية باعتبار اللفظ المركب بـ: "المعايير التي تضمن استقامة الأسرة المسلمة وانضباطها بما يعود بالنفع على المجتمع الإسلامي، والاستمرار على ذلك"<sup>(١٦)</sup>، وهي بذلك ضمان وأمان.

### المطلب الثاني: أهمية تعزيز القيم الأسرية.

يكفي لبيان أهمية تعزيز القيم الأسرية معرفة أنّها - أي القيم الأسرية - معايير تضمن استقامة الأسرة المسلمة وانضباطها بما يعود بالنفع على المجتمع عموماً، كما تقدّم ذكره في المطلب المتقدم، وإلّا فإنّ أهمية تعزيز القيم الأسرية تكمن أيضاً في نقاط عديدة، منها الآتي:

#### ١/ ضمان استقرار الأسرة وحمايتها من التفكك:

لما لم تكن الأسرة المسلمة بمعزل عن التغيرات التي يشهدها عالمنا اليوم، فإنّ غرس القيم في محيطها وبذل أقصى الجهود لنشرها، حماية لها من أي اهتزاز في القيم، أو اضطراب قد يؤدي إلى خلل في التفاعل بين أفرادها نتيجة لتلك التغيرات<sup>(١٧)</sup>، ممّا ينتج عنه تقصير أو عجز في القيام بالمهام المنوطة بها، بما له تأثير في تماسك البنية الاجتماعية، كما أنّ في تعزيز القيم الأسرية صيانة للمجتمع من التصدع والتآكل.

#### ٢/ حفظ هوية الأسرة:

تشكل القيم محورا رئيسا في ثقافة الأسرة المسلمة التي تعكس سلوك أفرادها، ولهذا فإنّ تعزيز القيم الأسرية يحفظ هوية الأسرة، فكلما قويت القيم تماسكت الأسرة وأمنت هويتها، وإذا اضمحلت القيم تزعزعت هوية الأسرة، بما يؤدي إلى ضعفها وتفككها، ولا شك أنّ هذا ضعف وضياع للمجتمع نفسه.

<sup>(١٥)</sup> ينظر أحمد مبارك الكندري، علم النفس التربوي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت، ط ٢ (١٤١٢هـ -

١٩٩٢م)، ص/٣٤-٣٦، للوقوف على أنواع الأسر وبنياتها.

<sup>(١٦)</sup> يلاحظ أنّ ما ذكرته قريب من تعريف القيم عند الأستاذ جابر قمحية.

<sup>(١٧)</sup> يفهم من سياق كلامي أنّ المقصود بالمتغيرات تلك الظواهر الاجتماعية المؤثرة سلبا في نسيج الأسرة والمجتمع

معاً، وليس المقصود الظواهر الاجتماعية الإيجابية.

## ٢ / ضمان استمرارية المجتمع:

إذا تقرر أنّ القيم الأسرية عامل أساس لحماية الأسرة من التفكك، فإنها أيضا - وبالضرورة - عامل أساس لاستقرار المجتمع، ذلك أنّ استقرار الأسرة مرهون بما تملكه من قيم، ومن هنا تظهر ضرورة تعزيزها، وإذا كانت الأسرة وحدة اجتماعية فعالة في المجتمع كما تقدّم، فإنّ زوالها زوال للمجتمع، وقد بيّن لنا القرآن الكريم أن زوال المجتمعات إنّما هو برفضها للقيم<sup>(١٨)</sup>، قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وإذا كانت الأسرة بتلك المرتبة في المجتمع، فإنّ الحقيقة التاريخية تشهد "أنّ قوة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها، بل إنّ بقاءها ووجودها واستمراريتها مرهونة بما تمتلكه من معايير قيمية وخلقية... وفي حالة اختلال الموازين وفقدان البناء القيمي السليم، فإنّ عواقب ذلك لا محالة وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الضعف والتفكك والانهيار"<sup>(١٩)</sup>.

## ٤ / تنمية الشعور بالمسؤولية:

إنّ ممّا يدعوننا إلى تعزيز القيم الأسرية أنّها تنمي في أفراد الأسرة الشعور بالمسؤولية أيضا، ذلك أنّ من قيم الأسر في بلاد الإسلام التوحد مع أفرادها والارتباط العاطفي والعمل ضمن فريق متكامل، ممّا يورث الشعور بالمصير المشترك، وهذا يورث أيضا من دون شك الشعور بالمسؤولية، ممّا يدفع أيضا إلى العمل بروح المسؤولية، وهذا من مصلحة الأسرة والمجتمع جميعا.

والتعريف في تعزيز القيم الأسرية يضعف الشعور بالمسؤولية في أفراد الأسرة إن لم يفقدها بالكلية، ويورث عدم الاهتمام والتخلي عن الواجبات الأسرية، وهذا من دون شك يعود على المجتمع بالأثر السيء.

<sup>(١٨)</sup> ينظر: القيم الدينية ودورها في التماسك الأسري - دراسة ميدانية بمدينة باتنة -، سامية حمروش، رسالة

ماجستير نوقشت بجامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، السنة الجامعية (٢٠٠٩-٢٠١٠م)، ص/٤٦.

[https://www.mobt3ath.com/pdf.php?ext=pdf&id=2779&tit=%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9%D9%85%D8%A7%D8%AC%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D8%B1\\_%D8%A8%D8%B9%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%86\\_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85\\_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9\\_%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7\\_%D9%81%D9%8A\\_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%83\\_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D9%8A](https://www.mobt3ath.com/pdf.php?ext=pdf&id=2779&tit=%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9%D9%85%D8%A7%D8%AC%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D8%B1_%D8%A8%D8%B9%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9_%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%83_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D9%8A)

<sup>(١٩)</sup> ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار

المسيرة الأردن، ط ٢ (٢٠٠٧م)، ص/٤٥.



## ٥/ بث الثقة بين أفراد الأسرة:

إذا كانت الثقة في النفس مفتاح النجاح، فإنّ الثقة بين أفراد الأسرة مفتاح نجاحها أيضا، ومن ناحية أخرى فإنّ الثقة مادة أساسية لتماسك الأسرة والمجتمع جميعا، وهنا تكمن أهمية تعزيز القيم الأسرية، ذلك أنّ القيم تقلل من النزاع والصراع بين أفراد الأسرة، ومن دون شك أنّ هذا مما يبث الثقة بينهم ويعززها، وهذا أيضا يمنح الأسرة مكانة اجتماعية رفيعة، فالقيم الحميدة المبنية على عناصر عديدة، كالصدق والامانة والتضحية وغير ذلك، تشيع الثقة بين أفراد الأسرة، وهذا ينتج عنه الاطمئنان والسكينة والراحة، واستقرار الأسرة وثبات المجتمع.

وفي ختام هذا المطلب أقول: إنّ أهمية تعزيز القيم الأسرية من أهمية الحفاظ على المجتمع، فكما عززنا تلك القيم، دعمنا السياج المحيط بالمجتمع لحمايته، وفي المقابل فإنّ الغفلة عن تعزيز القيم الأسرية هو في حقيقة الأمر جناية على الأسرة والمجتمع جميعا، وسيكون ثمن ذلك مُكلفا، قد يصل إلى تفكك الأسرة وتصدع المجتمع.

**المبحث الثاني: أحاديث نبوية في قيمة المسؤولية الأسرية وكيفية تفعيلها لضمان استقرار الأسرة.**

لما كان البحث يهدف إلى بيان عناية السنة النبوية بالقيم الأسرية، فقد خصصت هذا المبحث لذكر جملة من الأحاديث النبوية في قيمة المسؤولية الأسرية، مع الاجتهاد في اقتراح أساليب تفعيلها من أجل استقرار الأسرة، وذلك ضمن مطلبين:

### المطلب الأول: أحاديث نبوية في قيمة المسؤولية الأسرية.

سأكتفي بذكر طائفة من الأحاديث النبوية الواردة في المسؤولية الأسرية، وقد رأيت جعلها ضمن مجموعتين، الأولى: أحاديث واردة صريحة في المسؤولية الأسرية، والثانية: أحاديث المقصد منها المسؤولية الأسرية عن طريق الاستنباط<sup>(٢٠)</sup>.

---

<sup>(٢٠)</sup> سأكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين، فإن كان في أحدهما أضم إليه السنن الثلاثة وجامع الترمذي، وإن كان في غير الصحيحين أخرجه من الكتب الأربعة مع ذكر الحكم على الحديث. كما أكتفي بتخريج البخاري من موضع واحد وفي الغالب من الموضع الأول إلا للضرورة والفائدة.

## المجموعة الأولى: أحاديث صريحة في المسؤولية الأسرية.

١/ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع فمستول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مستول عنهم، والرجل راع على أهل بيته، وهو مستول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مستولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مستول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مستول عن رعيته»<sup>(٢١)</sup>.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: "معنى الراعي ههنا: الحافظ المؤمن على ما يليه، يأمرهم بالنصيحة فيما يلونه ويحذرهم أن يخونوا فيما وكل إليهم منه أو يضيعوا، وأخير أنهم مسؤولون عنه ومؤاخذون به"<sup>(٢٢)</sup>.

وقد تقدّم أنّ الإمام البخاري رحمه الله أخرج الحديث في مواضع عديدة من صحيحه، منها في باب: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال المهلب: "هذا الحديث مفسر للآية التي ترجم بها؛ لأنه أخبر التَّكْلِيفَ أَنَّ الرَّجُلَ مَسْئُولٌ عَنْ أَهْلِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَهُمْ مَا يَقِيهِمْ بِهِ النَّارَ"<sup>(٢٣)</sup>.

وحديث الباب عام في "كل من جعله الله أميناً على شيء، فواجب عليه أداء النصيحة فيه، وبذل الجهد في حفظه ورعايته؛ لأنه لا يسأل عن رعيته إلا من يلزمه القيام بالنظر لها وصلاح أمرها"<sup>(٢٤)</sup>، وهو أيضاً أصل في المسؤولية وتشمل كل مفاصل الحياة.

٢/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»<sup>(٢٥)</sup>. والحديث واضح الدلالة في تحميل ولي أمر الأسرة المسؤولية التامة الشاملة عن أسرته وأفرادها.

(٢١) تقدّم تخريجه، ينظر: (ص/٢).

(٢٢) حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية بجلب سوريا، صححه محمد راغب الطباخ، ط ١ (١٣٥٢هـ-١٩٣٣)، (٢/٣).

(٢٣) ينظر: علي بن خلف ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، بعناية أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ط ٢ (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، (٧/٢٩٦).

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: (٧/٣٢٢).

(٢٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب: مسألة كل راع عما استرعاه، حديث رقم: [٩١٢٩]، وابن حبان في صحيحه: (٣٤٥/١٠) حديث رقم: [٤٤٩٣]، والطبراني في الأوسط: (١٩٧/٢) حديث رقم: [١٧٠٣] من حديث معاذ ابن هشام عن أبيه، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/١٧٩) حديث رقم: [١٦٣٦]، وذكره الترمذي في جامعه كتاب الجهاد عن

٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية (٢٦).

فقوله صلى الله عليه وسلم: «فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» إلقاء للمسؤولية عليهما، فهما اللذان "يعلمانه ما هو عليه ويصرفانه عن الفطرة، ويحتمل أن يكون المراد يرغبانه في ذلك، أو أن كونه تبعا لهما في الدين بولادته على فراشهما يوجب أن يكون حكمه حكمهما" (٢٧)، وهذا يعني أنّ "الضلالة ليست من ذات المولود ومقتضى طبعه، بل أينما حصلت فإنما هي بسبب خارج عن ذاته" (٢٨).

٤/ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأصدق بثُلثي مالي؟ قال: «لا»، فقلت: بالشطر؟ فقال: «لا»، ثم قال: «الثلث، والثلث كبير - أو كثير -؛ إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عائلة يتكفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك» (٢٩).

لم يكن لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "إلا ابنة واحدة، كما ذكر في هذا الحديث، فدلّ هذا أن ترك المال للورثة خير من الصدقة به، وأنّ النفقة على الأهل من الأعمال الصالحة" (٣٠)، وفيه أيضا استشعار

رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الإمام، حديث رقم: [١٧٠٥]، ثم قال: "سمعت مُجَدَّ يَقُول: هذا غير محفوظ، وإنما الصحيح عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا". ومهما يكن، فإنّ حديث ابن عمر يشهد له.

(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه، حديث رقم: [١٣٥٨]، ومسلم كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: [٢٦٥٨].

(٢٧) ينظر: محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه عبد الله محمود مُجَدَّ عمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، (٢٥٦/٨).

(٢٨) ينظر المصدر نفسه: (٢٥٧/٨). هناك تفسيرات لأهل العلم غير ما تم ذكره قديما وحديثا، إلا أنّ هذا التوجيه يخدم موضوع البحث ولا يتعارض مع ظاهر الحديث.

(٢٩) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة، حديث رقم: [١٢٩٥]، ومسلم، كتاب الوصية، باب: الوصية بالثلث، حديث رقم: [١٦٢٨]، واللفظ للبخاري.

(٣٠) ينظر علي بن خلف ابن بطلال، شرح صحيح البخاري: (١٤٤/٨).

بالمسؤولية المالية على الأسرة ولو بعد الممات، كما فيه حث على صلة الرحم<sup>(٣١)</sup>، ولا شكّ هذا من أسباب ترابط الأسر واستقرارها.

### المجموعة الثانية: أحاديث نبوية المقصد منها المسؤولية الأسرية عن طريق الاستنباط.

١/ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»<sup>(٣٢)</sup>.

في هذا الحديث أمرٌ بتربية الأولاد على الصلاة والقيم، وفي ذلك تحميل لولي الأمر مسؤولية تعليم الدين والأدب، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: "على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم، ويعلموهم الطهارة والصلاة، ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا"<sup>(٣٣)</sup>، "وإنما يأمرهم الأولياء بذلك على طريق التمرين كسائر ما يربونهم عليه"<sup>(٣٤)</sup>، وهذا من حقوقهم..

٢/ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عَمْرَةُ بنت راحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عَمْرَةَ بنت راحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «أَعْطَيْتَ سائر ولدك مثل هذا؟» قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدوا بين أولادكم»، قال: فرجع فرد عطيته<sup>(٣٥)</sup>.

هذا الحديث يوحى لنا بأنّ الوالد مسؤول عن تحقيق العدل بين أولاده، ولهذا قال الإمام البخاري رحمه الله: "وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يَكْزُرْ، حتى يعدل بينهم ويُعطي الآخرين مثله، ولا يشهد عليه"<sup>(٣٦)</sup>.

---

<sup>(٣١)</sup> ينظر يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط ٢ (١٣٩٢هـ)، (٧٧/١١).

<sup>(٣٢)</sup> أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: [٤٩٥]، وقال الألباني: إسناده حسن صحيح. ينظر: مُجَدِّ ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت، ط ١ (١٤٢٣-٢٠٠٢م)، (٤٠١/٢) حديث رقم: [٥٠٩].

<sup>(٣٣)</sup> ينظر: الحسين بن معسود البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومُجَدِّ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ط ٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، (٤٠٧/٢).

<sup>(٣٤)</sup> ينظر: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طح الشرب في شرح التقريب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (بلا ط) (د ت)، (٨٧/٧).

<sup>(٣٥)</sup> أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب: الإشهاد في الهبة، حديث رقم: [٢٥٨٧]، ومسلم، كتاب الهبات، باب: كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم: [١٦٢٣].

<sup>(٣٦)</sup> ينظر الحديث رقم: [٢٥٨٦] من الكتاب السابق، باب: الهبة للولد.

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمره برد العطية، وإنما فيه أنه رجع فرد العطية إذ أمره رسول الله ﷺ بالعدل بين أولاده"<sup>(٣٧)</sup>.

٣/ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم»، فقال رجل: يا رسول الله! إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامرأتي تريد الحج، فقال: «اخرج معها»<sup>(٣٨)</sup>.

ليس الغرض من إيراد هذا الحديث تحريم سفر المرأة إلا مع ذي محرم، فتلك مسألة تنازع فيها أهل العلم قديماً وحديثاً، وإنما القصد من ذكره ما فيه من حثٍ للرجل على مصاحبة زوجته في سفرها إلى الحج، وفي ذلك إشارة من النبي ﷺ إلى الزوج إلى ضرورة تحمل مسؤولية الحفاظ على حياة شريكة حياته وعرضها، ولعل قوله ﷺ في شطر الحديث: «ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» ما يؤكد هذا المعنى، وبخاصة مسؤولية حماية العرض<sup>(٣٩)</sup>.

٤/ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»<sup>(٤٠)</sup>، وفي رواية عنه رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٤١)</sup>.

---

<sup>(٣٧)</sup> يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، (٩٨/٧).

<sup>(٣٨)</sup> أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: حج النساء، حديث رقم: [١٨٦٢]، ومسلم، كتاب الحج، باب: سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره، حديث رقم: [١٤٣١]، واللفظ للبخاري.

<sup>(٣٩)</sup> ولعل حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفأرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت». ورد في هذا السياق أيضاً. والحديث أخرجه البخاري كتاب النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا وذو محرم والدخول على المغيبة، حديث رقم: [٥٢٣٢]، ومسلم كتاب السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم: [٢١٧٢]، واللفظ للبخاري.

<sup>(٤٠)</sup> أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب: إثم من ضيع عياله، حديث رقم: [٩١٣١]، والحاكم في المستدرک: (٤/٦٧٠) حديث رقم: [٨٥٩١]، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني لغيره، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب: (٢/٢٢٦) حديث رقم: [١٩٦٥].

<sup>(٤١)</sup> أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب: إثم من ضيع عياله، حديث رقم: [٩١٣٢]، والحاكم في المستدرک: (١/٥٧٤) حديث رقم: [١٥١٥]، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووهب بن جابر من كبار تابعي الكوفة، وصححه الألباني لغيره، ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: (٣/٤٠٦) حديث رقم: [٨٩٤].

وقد فهم عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما من هذا الحديث أن المسؤولية تقع على ولي أمر الأسرة في تحقيق الاستقرار الغذائي، ولذلك جاء في الرواية الأولى: قال جابر الخيواني: "كنت عند عبدالله بن عمرو فقدم عليه قَهْرَمَانٌ"<sup>(٤٢)</sup> من الشام، وقد بقيت ليلتان من رمضان، فقال له عبدالله: هل تركت عند أهلي ما يكفيهم؟ قال: قد تركت عندهم نفقة، فقال عبدالله: عزمت عليك لما رجعت فتركت لهم ما يكفيهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ، ثم ذكر الحديث.

٥/ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنّ النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال: «يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: «فإني أنا وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصل ونم»<sup>(٤٣)</sup>.

ويعنى هذا الحديث ما يرويه أبو جحيفة، قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فنام، فلما كان عند الصبح، قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا، ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك، فقال له: «صدق سلمان»<sup>(٤٤)</sup>.

والحديث وإن ورد في الحث على اتباع السنة في الزهد، إلا أنه يمكن أن يفهم منه مسؤولية الزوج في تحقيق اطمئنان أهله في بيت الزوجية، فإن النبي ﷺ لما رأى حال زوجة عثمان بن مظعون وهيئتها، ألقى المسؤولية على زوجها، وأخبره بالاهتمام بزوجته لما يعود على الحياة الزوجية بالاستقرار وذلك لطرفين، وحديث أبي الدرداء ورد في السياق نفسه، وقد أقره النبي ﷺ.

<sup>(٤٢)</sup> هو الخازن القائم بجوائح الإنسان وهو بمعنى الوكيل وهو بلسان الفرس. ينظر: يحيى بن شرف النووي، المنهاج

شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (٨٢/٧).

<sup>(٤٣)</sup> أخرجه أبو داود في سننه، كتاب التطوع، باب: ما يؤمر به من القصد في الصلاة، حديث رقم: [١٣٦٩]،

وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (١١٢/٥)، حديث رقم: [١٢٣٩].

<sup>(٤٤)</sup> أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: [٢٤١٣]، وقال حديث حسن

صحيح.

وبعد، فما سبق ذكره من أحاديث يشهد على أن السنة النبوية مداد لا ينضب في الحياة الأسرية، تمدها بالقيم التي تحوطها وتضمن لها بقاءها واستقرارها، وفي هذا برهان على عناية السنة النبوية بالجانب الاجتماعي.

### المطلب الثاني: كيفية تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية لضمان استقرار الأسرة.

إنّ القيم عموماً تحفظ للأسرة تماسكها، وتحدد لها أهدافها ومثلها العليا، كما توجه سلوك أفرادها ليعب دورها في تنمية المجتمع، ولذلك فإنّ تفعيل القيم مهم لضمان دوام استقرار الأسرة ووحدة المجتمع، ويهدف هذا المطلب إلى بيان كيفية تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية لتحقيق ذلك.

ولعل الأمر الذي يأتي في طليعة ما يصلح لأن يكون عنصراً مهماً في تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية هو: نشر أحاديث النبي ﷺ في الموضوع وبتنها في أوساط أفراد المجتمع والسعي من أجل إقناعهم بها، من خلال استغلال المناسبات والوسائل المختلفة لذلك، وعدم الاقتصار على أرباب الأسر، فإنّ المسؤولية قد تقع على جميع أفراد الأسرة ويتقاسمونها بينهم، ولعلنا أيضاً نركز على الترغيب في الاقتداء بالنبي ﷺ، في ضوء التربية الإسلامية.

كما يمكن تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية من خلال تحقيق الآتي:

١/ كثيراً ما تظهر قيمة الشيء وفعاليتها من خلال عرض نماذج من نقيضه، ولذلك يحسن بنا لتفعيل قيمة المسؤولية الأسرية وترسيخها: الوقوف على آثار التخلي عن المسؤولية تجاه الأسرة، ونشرها لتكون عبرة وحافزاً على التزام المسؤولية الشاملة تجاه الأسرة وأفرادها، لكونها الحامي من الانزلاق.

٢/ لا شك أنّ الإقناع المبني على الدليل والبرهان هو أمثل سبيل، وهذا يختلف من شخص إلى آخر من حيث قبول الدليل أو رده، إلا أنّ تشريع القوانين يلزم الجميع، ولهذا يُقترح في هذا المجال سن قوانين تلزم رب الأسرة والقائم عليها من اتخاذ مسؤوليته الشاملة تجاه أسرته وأفرادها، ولعلي أستأنس بما سبق ذكره عن النبي ﷺ<sup>(٤٥)</sup>، حيث أمر الصحابي بمغادرة الجيش واللحاق بأهله لمصاحبتهم في رحلة الحج، ووقفاً عند مسؤوليته تجاههم، فلو شرعنا قوانين قريبة من هذا الهدي النبوي تلزم صاحب القرار في الأسرة بمسؤوليته وتحمله نتائج التفريط، لساهمنا في تفعيل هذه القيمة، ولجنبنا الأجرة الوقوع فيما لا يحمد عقباه، ونكون أيضاً قد صُنّا المجتمع من التصدّع.

٣/ ممّا لا شكّ فيه أيضاً أن الإعلام له دور كبير وخطير في استقرار الأسر والمجتمعات أو زعزعتها، وهو من وسائل التأثير قديماً وحديثاً، جعلت منه سلطة قوية في المجتمعات الإنسانية قاطبة.

<sup>(٤٥)</sup> ينظر: (ص/١٣).

فمن هذا المنطلق يُمكن استغلال دور الإعلام بمختلف وسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية في تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية، كما أنه على أنّ أي مقترح من أجل تفعيل هذه القيمة يكون من خلال هذه الوسيلة أيضاً، لكونها المصادر الأكثر انتشاراً في المجتمعات اليوم.

ففكرة هذا العنصر تكمن في حشد وسائل الإعلام المختلفة لتوجيه المتابعين لها نحو قيمة المسؤولية الأسرية وبيان أهميتها وتفعيلها في الأسرة لضمان استقرارها، ولا مانع من صناعة أفلام وثائقية أو تمثيلية منسبطة بالقيم الإسلامية في سبيل تحقيق ذلك، لكونها الأكثر تأثيراً من بين وسائل الإعلام.

٤/ التركيز على مرحلة تأسيس القيم عموماً، وهذه الخطوة لا بد أن تكون متقدمة جداً، حيث تخص النشأ بتأصيل القيم في نفوسهم وغرسها فيها، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين:

"١- مرحلة التطبيع من الولادة إلى عمر السابعة: أهمية مرحلة الطفولة تتلخص في اكتسابه للعادات والقيم المختلفة خلالها؛ فلو اكتسب الإنسان العادات الجيدة، والقيم والأخلاق الرفيعة فإنه حتماً سيشتب عليها، أما إن اكتسب العادات السيئة والأخلاق الرديئة؛ فإنه سيكون وبالاً على المجتمع عندما يكبر...

٢- مرحلة التقليد من عمر السابعة إلى الرابعة عشر: يمر طفل الروضة بمراحل مهمة ومنها مرحلة التقليد، فطفل الروضة يقلد أي نموذج حي أمامه من خلال النظر والمتابعة للبيئة المحيطة به، وهذا التقليد يؤثر في اكتساب الطفل العادات السلوكية الصحيحة وتنمية الاتجاهات الإيجابية لديه"<sup>(٤٦)</sup>.

فتستغل مرحلة التأسيس لزرع قيمة المسؤولية الأسرية من بين باقي القيم في نفوس الأطفال، وذلك من خلال برامج تعليمية تربوية تخص الأسرة، من حيث تعزيز الروابط الأسرية - مثلاً - كما ورد في السنة النبوية، لتأتي بعد ذلك مرحلة البناء عند بلوغ سن المراهقة، حيث تتشكل النظرة النهائية تجاه المسؤولية في هذه المرحلة، مع التنبيه أيضاً على ضرورة توفر القدوة الحسنة نظرياً وعملياً، يمكن هياكل عديدة المشاركة في ذلك، منها: المدارس والمساجد والجامعات والمراكز العلمية والمراكز الصيفية وغيرها.

٥/ تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية من خلال الأسرة نفسها؛ فإنّ الأسرة يمكن أن يكون لها دور في تحقيق ذلك من خلال مراعاة جملة من المبادئ، منها"<sup>(٤٧)</sup>:

---

<sup>(٤٦)</sup> ينظر: نادية عبد العزيز المسلم ومجموعة من الموجهات الفنيات، الدورة التدريبية للقيم التربوية في رياض الأطفال، تحت شعار (الغرس الطيب)، وزارة التربية بدولة الكويت، العام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩م). (ص/٩).



**أولاً: القدوة،** ذلك أنّ الأسرة هي الحاضنة والمستقر لأفرادها، ولا شك أنّها تؤثر سلباً أو إيجاباً على قيم أفرادها، فإذا كانت ثقافة الشعور بالمسؤولية سائدة، فإنّ أفراد الأسرة يقتدي بعضهم ببعض في ذلك، لاسيما إذا كان القدوة لأفراد الأسرة جميعاً هو رسول الله ﷺ.

**ثانياً: توفير البيئة الأسرية الهادئة والمستقرة،** وهذا من المبادئ الأساسية لسعادة الأسرة، ذلك أنّ جو الهدوء يسهم في بناء نفسية أفراد الأسرة، ممّا يزرع في نفوسهم روح المسؤولية، والشجاعة في اتخاذ المواقف اللازمة والمسؤولية في الوقت نفسه.

**ثالثاً: حسن التعامل بين أفراد الأسرة،** ذلك أنّ الشعور بالاحترام يغرس في شخصية أفراد الأسرة آثاراً إيجابية فاعلة، تسهم في زرع الثقة في النفس ومنح القدرة على تحمل المسؤولية الأسرية في كافة المجالات، "فالالتصاف بالهدوء أثناء التربية والتوجيه وانتقاء الألفاظ المناسبة وقت حدوث الأخطاء... تزرع جواً أسرياً مناسباً وملائماً لتعزيز القيم"<sup>(٤٨)</sup>.

**رابعاً: تشجيع أفراد الأسرة عندما يسلك أحدهم سلوكاً يعكس قيمة المسؤولية الأسرية،** ومساعدته على تنميتها ممّا يعطي ردة فعل إيجابية تساعد على تكرار ذلك السلوك الطيب، وكلما تكرّر ذلك السلوك وتكرّر معه التشجيع، فإنّ ذلك الموقف الذي يعكس قيمة المسؤولية الأسرية يساهم في نمو القيمة لديه وترسيخها، حتى تصبح جزءاً من بنيته القيمية.

هذا، ولا يفوتني في ختام هذا البحث الإشارة إلى أنّ استقرار الأسرة أساساً مبني على التزام الزوجين بتعاليم وتوجيهات النبي ﷺ، ذلك أنّه ﷺ يقول في حقّ الزوج كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(٤٩)</sup>، وقال في حقّ الزوجة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعليها، دخلت من أي

---

<sup>(٤٧)</sup> استوحيت هذه الجزئية من: مُجَدَّ عبد الله الحازمي، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، (حزيران ٢٠١٧)، دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية لدى الطفل في ضوء التربية الإسلامية، المجلد ٦ العدد ٦، (ص/١٥٨-١٥٩).  
<sup>(٤٨)</sup> ينظر المرجع نفسه: (ص/١٥٨).

<sup>(٤٩)</sup> أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: [٣٨٩٥]، وابن حبان في صحيحه: (٤٨٤/٩) حديث رقم: [٤١٧٧]، والدارمي في سننه: كتاب النكاح، باب: في حسن معاشرته النساء، حديث رقم: [٢٣٠٦]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

أبواب الجنة شاءت»<sup>(٥٠)</sup>، فحسن العشرة والطاعة في المعروف عنصران مهمان لاستقرار الأسرة، ولا شك أنّ هذا من صميم المسؤولية الأسرية.

فهذا ما تيسر جمعه من مقترحات لأجل تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية لضمان استقرار الأسرة، ويمكن تسجيل غيرها مع عمق نظر ومزيد تأمل.

---

<sup>(٥٠)</sup> أخرجه ابن حبان في صحيحه: (٤٧١/٩) حديث رقم: [٤١٦٣]، وحسنه الألباني لغيره، مُجَّد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار با وزير للنشر والتوزيع جدة، ط ١ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

## الخاتمة

وفي الختام أسجل نتائج البحث، مع ذكر بعض التوصيات أراها مهمة في مجال السنة النبوية وصياغة منظومة القيم الأسرية.

### أولاً: نتائج البحث:

- عناية السنة النبوية بالقيم عموماً والأسرية منها خصوصاً.
- عناية السنة النبوية بقيمة المسؤولية الأسرية في جميع مجالات الحياة.
- تنوع أساليب السنة النبوية في العناية بالمسؤولية الأسرية بين الترغيب والترهيب والأمر والنهي.
- قيمة المسؤولية الأسرية ضمان لاستقرار الأسرة وعدم تصدع المجتمع.
- تفعيل قيمة المسؤولية الأسرية مهمة يتشارك فيها أطراف عديدة يكمل بعضها بعضاً، منها وسائل الإعلام والمدارس والجامعات والمراكز التعليمية، بما فيها الأسرة نفسها.
- تثقيف الأسرة تثقيفاً إسلامياً مبني على الأخلاق والقيم ضرورة ملحة.

### ثانياً: أهم التوصيات:

مما يوصى به الآتي:

أولاً: تفعيل مجال الشراكة بين مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية والمؤسسات ذات الصلة بقضايا الأسرة.

ثانياً: سعي مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية إلى تأسيس لجان بحثية لرصد واقع الأسرة الإماراتية في مختلف جوانب الحياة وإيجاد الحلول الميدانية.

ثالثاً: ضرورة استثمار مختلف وسائل الإعلام وأدوات التواصل الاجتماعي في إبراز وترسيخ قيمة المسؤولية الأسرية.

رابعاً: الإشراف على تنظيم دورات تكوينية وتدريبية حول قيمة المسؤولية، والاستعانة بالمتخصصين في هذا المجال.

هذا... وأسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بالفهم الصحيح، والقلب السليم، والنية الصادقة، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير المبارك بن مُجَدِّد، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١ (جمادى الأولى ١٤٢١هـ).
- ٢- ابن بطلال علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، بعناية أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشيد الرياض، ط ٢ (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).
- ٣- ابن منظور مُجَدِّد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، (بلا ط).
- ٤- أبو زهرة مُجَدِّد، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي القاهرة، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).
- ٥- أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١ (١٩٨٢م).
- ٦- الألباني مُجَدِّد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي بيروت/ دمشق، ط ١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- ٧- الألباني مُجَدِّد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار باوزير للنشر والتوزيع جدة، ط ١ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- ٨- الألباني مُجَدِّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، (بلا ط) (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- ٩- الألباني مُجَدِّد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- ١٠- الألباني مُجَدِّد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت، ط ١ (١٤٢٣-٢٠٠٢م).
- ١١- البخاري مُجَدِّد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، اعنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع الرياض، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- ١٢- البغوي الحسين بن معسود، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط و مُجَدِّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت، ط ٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- ١٣- الترمذي مُجَدِّد بن عيسى، الجامع المختصر من السنن عن النبي ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢ (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).
- ١٤- جابر قمحية، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

- ١٥ - الجلاد ماجد زكي، تعلم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة الأردن، ط ٢ (٢٠٠٧م).
- ١٦ - الحازمي مُجَّد عبدالله، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، (حزيران ٢٠١٧)، دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية لدى الطفل في ضوء التربية الإسلامية، المجلد ٦ العدد ٦.
- ١٧ - حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب القاهرة، (بلا ط) (١٩٧٤م).
- ١٨ - حمروش سامية، القيم الدينية ودورها في التماسك الأسري - دراسة ميدانية بمدينة باتنة - ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، السنة الجامعية (٢٠٠٩-٢٠١٠م).
- ١٩ - الخطابي حمد بن مُجَّد، معالم السنن، المطبعة العلمية بحلب سوريا، صححه مُجَّد راغب الطباخ، ط ١ (١٣٥٢هـ-١٩٣٣).
- ٢٠ - الدارمي عبدالله بن عبد الرحمن، السنن، تحقيق الداراني حسين سليم، دار المغني للنشر والتوزيع الرياض، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- ٢١ - رائد جميل عكاشة ومنذر عرفات زيتون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، دار الفتح للنشر والتوزيع الأردن، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن، ط ١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).
- ٢٢ - السجستاني سليمان بن الأشعث، السنن، حققه وضبط نصه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
- ٢٣ - الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، (بلا ط)، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- ٢٤ - العراقي عبد الرحيم بن الحسين، طرح الشريب في شرح التقريب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا ط) (د ت).
- ٢٥ - علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، دار طيبة بيروت، ط ١ (١٩٨٠م).
- ٢٦ - العيني محمود بن أحمد ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه عبدالله محمود مُجَّد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- ٢٧ - الفيومي أحمد بن مُجَّد ، المصباح المنير، المطبعة الأميرة القاهرة، ط ٦ (١٩٢٥م).

- ٢٨- القرطبي يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق سالم مُجَّد عطا ومُجَّد علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- ٢٩- الكندري أحمد مبارك، علم النفس التربوي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت، ط ٢ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- ٣٠- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط ٤ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- ٣١- مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن مُجَّد بن ملح، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط ١ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- ٣٢- مُجَّد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، (ديسمبر ٢٠١٢).
- ٣٣- المسلّم نادية عبد العزيز ومجموعة من الموجهات الفنيات، الدورة التدريبية للقيم التربوية في رياض الأطفال، تحت شعار (الغرس الطيب)، وزارة التربية بدولة الكويت، العام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩م).
- ٣٤- النسائي أحمد بن شعيب، كتاب السنن الكبرى، قدم له الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وأشرف عليه شعيب الأرنؤوط، وحققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- ٣٥- النووي يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢ (١٣٩٢هـ).
- ٣٦- النيسابوري مُجَّد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي، للوادي مقل بن هادي، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- ٣٧- النيسابوري مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع الرياض، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).